المطران اسحق ساكا
النائب البطريركي العام

اللغة السريانية

حلب ١٩٨٣

المطران مرجس القس بهنام

اللغة السريانية
لهجاتها وآدابها

بقلم
المطران اسحق ساكا
النائب البطريركي العام

سلسلة يصدرها

المطران يوحنا ابراهيم

متروبوليت حلب

المراسلات : دراسات سريانية
مطرانية السريان الأرثوذكس
حلب - سورية

المقدمة

لم يتفق الباحثون وعلماء اللغة حتى اليوم على تسمية موحَّدة للغة السريانية الآرامية . فمنهم من اعتبرها لغة واحدة ذات لهجات مختلفة ، ومنهم من سمّى اللهجات السريانية المختلفة لغات لها ميزاتها . ولكنهم اتفقوا على كونها لغة سامية ذات ميزّة حضارية تراثية .

ومن المعلوم ان هذه اللغة انتشرت انتشاراً واسعاً خصوصاً في الشرقين الأدنى والأوسط . فحتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانت خاصة بالشعب الآرامي ، ولكن بدءاً من القرن الثامن ق.م حلّت محل اللغة الأكدية وأصبحت لغة دولية في كل بلدان ما بين النهرين ، وبعد القرن السادس ق.م أصبحت لغة الدولة الأخمينية ، ثمّ لغة رسمية للامبراطورية الفارسية الممتدة من الهند حتى الحبشة الى عهد فتوحات الاسكندر ، وكتب الفرس لغتهم بالأحرف الآرامية .

وفي رأي المؤرخين ان العبرانيين حصلوا على أبجديتهم

من الآراميين بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد، والحروف المربَّعة التي تُطبع بها اليوم كتب التوراة العبرانية نشأت من الكتابة الآرامية . وان عرب الشمال أخذوا أبجديتهم التي كتب بها القرآن الكريم من الآرامية التي استعملها الأنباط، وان الارمن والفرس والهنود حصلوا على أبجديتهم من مصادر آرامية . وحتى الحروف البهلوية والسنسكريتية هي من أصل آرامي . ويخبرنا التاريخ ان الكهنة البوذيين حملوا الأبجدية السنسكريتية الى قلب الصين وكوريا .

أما الدكتور **فيليب حتي** فيذهب الى أبعد من ذلك ويقول : « **وصلت الحروف الفينيقية شرقاً بطريق الآرامية الى الشرق الاقصى ، وغرباً بطريق اليونانية الى الاميركتين مطوّقة العالم كله** » .

ولغة لها تاريخ بهذا الحجم لا بد ان تسترعي انتباه العالم ، وينكب الباحثون والمؤرخون على دراستها ونشر مآثرها الحضارية .

ونحنُ اليوم نقدم للقارىء الكريم بحثاً جديداً بعنوان **اللغة السريانية** لنيافة المطران اسحق ساكا . نشرناه أولاً في القسم الثاني لكتاب : **السريان ايمان وحضارة** ج ٣ تحت

رقم «١٣» ضمن سلسلتنا **دراسات سريانية** التي نصدرها في حلب.

ويدور الكلام في هـــذا البحث التاريخي عـن اللغة السريانية من حيث كونها: لغة سامية، قدمها، أسماؤها، ميزاتها وقدُسيتها، انتشارها ولهجاتها، وأخـــيراً كيف حلَّت اللغة العربية محل اللغة السريانية.

وأملنا وطيد ان يستفيد من هذا البحث جميع المهتمين بتراثنا السرياني، والعاشقين للغتنا السريانية الآرامية. وعلى الله الاتكال أولاً وآخراً.

عيد مار آسيا الحكيم
حلب في ١٥ تشرين الاول ١٩٨٣

المطران يوحنا إبراهيم
متروبوليت حلب للسريان

اللغة السريانية الآرامية

السريانية لغة سامية — قدمها

أسماء اللغة الآرامية — ميزاتها ـ قدسيتها

انتشارها — الآرامية لغة فلسطين

لهجات اللغة الآرامية — اللغة العربية تحل محل السريانية

ملاحظة : نقلنا عن كتاب « جولتي » للملفونو ابروهوم نورو بعض الصور واستخدمناها في كتاب « السريان ايمان وحضارة » ـ الجزء الثالث .

قصيدة

بعنوان

« اللغة

السريانية»

المؤلف

اللغة السريانية الآرامية

(١) السريانية لغة سامية

موضوع هـذا البحث يدخل ضمن علم اللغة المقارن Comparative Linguistics الذي استنبطه المستشرقون مؤخراً، وكان العرب يسمونه فقه اللغة وهو يشمل دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغـات المنتمية الى اسرة لغوية واحدة او فرع من افـرع الاسرة اللغوية الواحدة . ويقسم اللغويون منذ القرن التاسع عشر اللغـــات المختلفة الى مجموعات او اسرات ، وقـد خـرج الباحثون بالتسمية **السامية** لمجموعة من اللغـــات بعـد مقارنة هذه اللغات واكتشاف اوجه التشابه بينهـا من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية . ووجـود جوانب اساسية وظواهر مشتركة بينها ، وانها انحدرت من اصل واحد مشترك اي من اللغة الاولى التي خرجت عنها هـــذه اللغات على مر التاريخ . واطلقوا على تلك اللغة الاولى : **اللغة السامية الاولى** وبالالمانية :

Ursemitkisch او *Proto - Semitic*

ويرجع هذا الاصطلاح الذي اطلقه المستشرق شلوتسر للمرة الاولى عـام ١٧٨١ الى عنصرين *ur* وتعني اول قديم او اصلي والثاني نسبة الى *sem* سام بن نوح استناداً الى مـا جاء في الفصل العاشر من سفر التكوين(١) .

وتضم مجموعة اللغات السامية ما يلي :

آ ـ **كتلة المجموعة الشرقية** : وهي الاكادية في العراق القديم والذي بدأ تدوينها بالخط المسماري في اواسط الالف الثالث ق . م وقد تفرعت الاكادية في الالف الثاني ق . م الى البابلية والاشورية .

ب ـ **كتلة المجموعة الغربية** : وتشمل الكنعانية (الاموريـة ، والفينيقية ، والعبرانية) والآرامية .

---

(١) شلوتسر : فهارس الادب الشرقي والتوراتي المجلد ٨ ص ١٦١ ، علم اللغات العربية ، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث للغـات السامية ص ٣٥ ـ ٣٦ : الدكتور محمود فهمي الحجازي .

حـ ـ **كتلة المجموعة الجنوبية** : وتشمل العربيـــة والحبشيـــة .

وقد اكد العلماء ان التسمية هذه اي **السامية** اطلقت على تلك الاقوام من الناحية اللغوية فقط لا العرقية ، اي انها لا تنحصر في الشعوب المنحدرة من سام فحسب بل تعم سائر الشعوب التي نطقت باللغة السامية ولئن كانت غير سامية الجنس والدم ولذلك يقول ولفنسون : « تطلق كلمة لغـات سامية على جملة من اللغات التي كانت شائعة منذ ازمان بعيدة في بلاد آسيا وافريقيا »(٢) ويتضح هذا من مراجعة الجدول الخاص بانساب نوح الواردة في التوراة(٣) اذ نرى عدم ذكر الكنعانيين بين ابنـاء سام لكونهم غير ساميي الجنس والدم ، في حين ان لغتهم تعتبر سامية محضة .

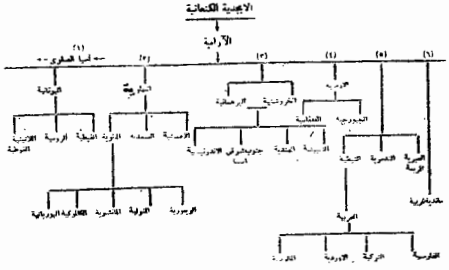

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٢ (٣) تك ٢ : ١٠ .

ولقد توهّم كثيراً من جعل الكنعانيين ساميين وشك في صحة الجدول التوراتي لعدم ذكره الكنعانيين بين ابناء سام . ولا صحة لقول بروكلمان(٤) ان بني اسرائيل هم الذين اقصوا الكنعانيين من الجنس السامي لاسباب سياسية ودينية . كما ننكر على ولفنسون قوله : نحن نميل الى الاعتقاد بان الرابطة التاريخية التي كانت تربط العبرانيين بالكنعانيين كانت تفككت عراها ، وامحت آثارها منذ عهد بعيد قبل خروج بني اسرائيل عن الجزيرة العربية . وهـذا هو السبب في عد الكنعانيين من بني حام(٥) والصحيح الثابت **ان الكنعانيين غير ساميين**(٦) فبمخالطتهم الآراميين الساميين غلبت الآرامية على لغتهم الآرية حتى صاروا آريين ساميين(٧) ومثل الكنعانيين الاحباش فهم حاميو الاصل ساميو اللغة(٨) .

---

(٤) تاريخ الشعوب الاسلامية ـ المقدمة .
(٥) اللغات السامية ص ٢ و ٣ .
(٦) اليعقوبي ج ١ ص ٢٢ اصدار دار العراق ـ بيروت .
(٧) القرداحي المناهج في النحو والمعاني ص ٣ والدبس تاريخ سورية ج ١ ص ١٠٩ .
(٨) الطبري ج ١ ص ٢١٦ .

وورد ايضاً في الجدول التوراتي المشار اليه ان آل عيلام وميديا من الساميين مع انه من المعلوم ان لهجتهم كانت غير سامية(٩) . ويرى نولدكة البحاثة الالماني ان ترتيب الشعوب في سفر التكوين مؤسس على الاعتبارات السياسية والجغرافية لا اللغوية التاريخية ، ونتيجة البحث ان **السامية** اطلقت على الشعوب السامية الاصل النقية الدم وعلى الناطقين باللغة السامية من غير الساميين لذا يجب التمييز ما بين **شعوب سامية** و **لغات سامية** .

ان الباحثين ولئن اتفقوا على السامية اصطلاحاً لشعوب ولغات لم يطمئنوا اليها تمام الاطمئنان . قال شابو : « ان هذه التسمية لا تطابق في الحقيقة مجموعة قومية ولا تقسيماً جغرافياً . فالساميون اسم اصطلاحي نشأ في القرن الثامن عشر بتأثير الفصل العاشر من سفر التكوين الذي يشير الى العبرانيين والآراميين والعرب كولد سام(١٠) وقال ايضاً الدكتور ديورانت « ليس باستطاعتنا ان نقول بالدقة ما هي

---

(٩) تاريخ اللغات السامية : ولفنسون ص ٣ .
(١٠) اللغات الآرامية وآدابها ص ٧ .

هذه الشعوب السامية إلا اذا فهمنا من اللفظ انهم يتكلمون لغـات سامية »(١١) ويراها ايضاً السيد محمد عزة دروزة تسمية خاطئة ، ويصطلح عليها بـ : **الجنس العربي**(١٢) وعلى رأي الآخرين ومنهم لاترمان قال : « **وجب ان تسمي بالسرياني العربي ، لكون العربية والسريانية فرعين عامين للغـات السامية يسمى الاول منهما جنوبياً والثاني شمالياً** »(١٣) ومهما يكن من الامر ، وعلى اي حال نرى انفسنا مضطرين الى قبول هذه التسمية لان الجميع قد ارتضاها وسلّم بها(١٤) وكقول ولفنسون : « ومهما يكن من شيء فهذا الاصطلاح اصلح واوفق ما اهتدى اليه العلماء »(١٥) .

ان كل اللغـات السامية قد تفرعت من اللغة السامية الاولى ، لغة سام بن نوح ، تلك اللغة التي انقرضت منذ

---

(١١) ديورانت ـ قصبة الحضارة .
(١٢) العرب والعروبة ج ١ ص ٤٦٣ .
(١٣) لاترمان تاريخ سورية مج ١ .
(١٤) محمد عطية الابراشي : الآداب السامية ص ٦ .
(١٥) تاريخ اللغات السامية ص ٣ .

عصور طويلة ، وليس من السهل تحديدها ، فابنـاء سام كانت لغتهم واحدة ، ولكن تفرقهم الى طوائف مختلفة في جهات مختلفة ادى الى وجود جهات تختلف كل منها عن الاخرى بعض الاختلاف . **فمن الحقائق الثابتة مثلاً ان الشعوب السامية الثلاثة ، العرب ، الآراميين ، العبرانيين في الاصل امة واحدة تاريخاً ولغة . فالتاريخ يصرح ان ابراهيم الخليل كان آراميـاً جنساولغة ووطناً(١٦) وان العبرانيين هم احفاده ومنسوبون اليه . امـــا العرب فالعدنانيون منهم هم ذرية اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون ينتسبون الى عابر(١٧) الذي انقسم احفـاده الى فصيلتين اقامت الاولى في اور الكلدانيين(١٨) وهم بنو ابراهيم، وارتحلت الثانية الى بلاد العرب وهم بنو يقظان او قحطان(١٩و٢٠) .**

وعلى ضوء هذا التسلسل التاريخي ترجع الشعوب الثلاثة

---

(١٦) تك ٢٦ : ١ ــ ٥ .
(١٧) جرجي زيدان ــ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٤ .
(١٨) نسبة الى كلدة ارض العراق الجنوبية .
(١٩ و ٢٠) تاريخ سورية مج ١ ص ١١٦ والطبري مج ١ ص ١١٧

الى اصل واحد ، وبتمادي الازمان انقسمت جغرافياً واستقل كل بمفرده وطناً ولغة وجنساً وتاريخاً وتسمية ، واضحوا الفروع الثلاثة الكبرى للساميين ، العرب في الجنوب ، والعبرانيين في الوسط ، والآراميين في الشمال(٢١) .

واما لغوياً فقد اثبت ابن حزم ان **العربية والسريانية والعبرية كانت في قديم الزمان لغة واحدة** ، وعن طريق الهجرة وتفرق الشعب السامي في بلاد شتى وتأثير البيئة اخذت لغة كل قبيلة تتعرض لبعض التغيير ، إلا انها بقيت متقاربة لفظاً ومعنى ، **فالعربي والعبراني والآرامي كانوا يتفاهمون بلا واسطة ولا ترجمان بما يشبه حال اللغات العامية العربية المتشعبة من اللغة الفصحى الآن**(٢٢) ، ثم بتعاقب الازمان اخذت المخالفة تنمو حتى اصبحت تلك اللهجات مغايرة واضحة ومستقلة(٢٣) .

---

(٢١) التمدن الاسلامي مج ٥ ص ١٠ .
(٢٢) التمدن الاسلامي ج ١ ص ٢٤ .
(٢٣) ولفنسون اللغات السامية ص ٣ ـ ٤ .

(٢) قدمها

تقول المراجع السريانية الدينية **ان اللغة السريانية هي اقدم لغات الدنيا بها تكلم آدم**، غير ان علم اللغة الحديث بتطوير مناهجه وتمسكه بالدقة العلمية استبعد من البحث من اللغة تلك الموضوعات التي لا يمكن بحثها بمناهج دقيقة، واشهر هذه الموضوعات نشأة اللغة . ومرجع الاهتمام القديم

الكتابة الارامية وتشعباتها
المتنوعة: الدمرية والسريانية
القديمة والاسطرنجيلية
والسريانية الغربية والشرقية
والسريانية الفلسطينية
والمندائية والنبطية ـ
عن كتاب دير زبور

from «Herbraw»

بهذا الموضوع الى الدين . فقد تكونت عند الجماعات الدينية المختلفة آراء راسخة نسبياً حول نشأة اللغة الانسانية، فاليهود يصرون على كونها هي العبرية، ومسيحيو الشرق (السريان) يجعلونها السريانية، وحار المؤلفون العرب بين

جعلها العربية ام السريانية(٢٤) واذا كان المفكر العربي ابن حزم قد وجد انه من العبث التفكير في اللغة الاولى عند الانسان ونسبتها الى الدين دون دليل(٢٥) فان علم اللغة الحديث لا يتناول البحث في قضية نشأة اللغة الانسانية لعدم وجود منهج علمي لبحث ذلك .

لقد حاول بعض الباحثين في القرن الماضي اعادة تكوين عدد من اللغات الموغلة في القدم من اللغة السامية الاولى التي هي الاصل المفترض الذي خرجت عنه اللغات السامية المختلفة ، ولكن تلك المحاولات لم تنجح إلا في التعرف على بعض الخصائص المغرقة في القدم . ولهذا عزف الباحثون عن البحث في المراحل التي لم تصل الينا في النقوش والنصوص . فاصبح البحث في اللغة لا يهتم إلا بالمراحل التاريخية والمعاصرة . فعلم اللغة يبدأ حين نجد نقشاً قديماً او نصاً مدوناً(٢٦) .

(٢٤) السيوطي : المزهر في علوم اللغة ١/ ٣٠ ـ ٣٥ .
(٢٥) ابن حزم ـ الاحكام في اصول الاحكام ١/ ٣٠ .
(٢٦) الدكتور محمود فهمي الحجازي : علم اللغة العربية : مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث اللغات السامية ص ٤٦ ـ ٤٧ .

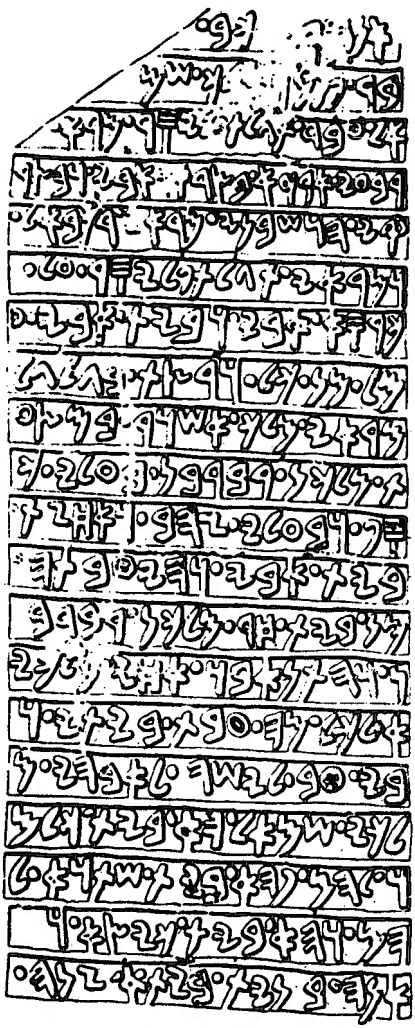

من اقدم الكتابات الآرامية في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد

(نقلاً عن كتاب : الابجدية للعالم دافيد ديرنجر)

ومهما يكن من الامر ، **فمن الثابت ان اللغة الآرامية السريانية من اللغات القديمة جداً** . واول لقاء التاريخ بها وجهاً لوجه حوالي الالف الثاني ق . م . ذلك ان ابراهيم الخليل الذي كان يعيش قبيل ذلك العهد كان آرامياً وكانت لغته آرامية . وقد ورد في سفر التكوين ان يعقوب ولابان التقطا حجارة وعملا رجمة . ودعا لابان الآرامي تلك الرجمة

[illegible] اي نصب الشهادة . واما يعقوب فدعاها جلعيد(٢٧) بالعبرانية القديمة . وهذه العبارة الآرامية تركت في الكتاب المقدس في صيغتها الآرامية في جميع الكتاب المقدس الى لغات مختلفة .

(٣) اسماء اللغة الآرامية السريانية

تسمى احياناً **كلدانية** سيما من قبل الافرنج(٢٨) ، وذلك نسبة الى بلاد الكلدانيين التي فيها اقتبسها اليهود وتعلموها لما كانوا في جلاء الكلدانيين في بابل في القرن السادس ق.م وبقوا يستعملونها بدل اللغة العبرية لما عادوا من الجلاء في

---

(٢٧) تك ٣١ : ٤٧ .
(٢٨) شابو : اللغات الآرامية وآدابها ص ٥ .

عهد كورش الملك بعد ان قضوا في الجلاء نصف قرن . وتدعى طوراً عبرية لانها كانت اللغة المستعملة لدى العبرانيين بعد رجوعهم من الجلاء ، وتشهد اسفار العهد الجديد نفسه الذي يسمي لغة اورشليم وسائر فلسطين ايام المسيح والرسل عبرانية(٢٩) والعامة عند اليهود تسميها ترجوم اي الترجمة والقلم المربع الذي يستعملونه الى اليوم يسمونه الآثوري نسبة الى بلاد آثور في نينوى . وسماها بعض ائمة السريان النهرية نسبة الى نهر دجلة التي ازدهرت على ضفافه(٣٠) وأطلقت عليها تسمية الرهاوية لانها ام اللهجات الغربية كقول العلامة ابن العبري :

مصطلحا هم مدنحا ... وبه صعوبا اوصحا

ان اللهجة الرئيسية هي السريانية الرهاوية(٣١) . غير ان الاسم الغالب عليها والتي تعرف به هي : **الآرامية ، او السريانية ، او الآرامية السريانية ، او السريانية الآرامية ،** فاللفظتان تتناوبان مرة كل على حدى ، ومرة تأتي مقترنتين .

---

(٢٩) يو ١٩ : ١٣ و ١٧ .

(٣٠) المدخل النحوم لابن العبري ـ والفصاحة لانطون الكريتي طبعة رحماني ص ١٤ .

(٣١) المدخل (النحوم) لابن العبري : المقدمة .

وقد اخطأ من فصل بين اللفظتين ، او جعل السريانية احدى اللهجات الآرامية او فرعاً من الآرامية . والكتاب المقدس يدعوها دومـــاً بالآرامية(٣٢) ولقد اخطـأ بعض المستشرقين وبخاصة دائرة المعارف البريطانية من جعل اللغة السريانية لهجة من لهجات الآرامية(٣٣) .

(٤) ميزاتها وقدسيتها

السريانية لغة مقدسة ، وحسبها فخراً تتيه به عن سائر لغات الدنيا على الاطلاق انهـا تشرفت بلسان ربنا يسوع المسيح ، وبفم امه الطوباوية مريم ، ورسله الاطهار . ومن ميزاتها ايضاً :

١ - كتب بها قسم من اسفار الكتاب المقدس ، كسفر دانيال حتى الاصحاح السابع ، وبهذه اللغة اثبت دانيـال النبي العبارة التي كتبتها يد خفية على جدار قصر بلطشر وهي :

---

(٣٢) ٢ ملوك ١٨ : ٢٦ واش ٣٦ : ١١ و دا ٢ : ٤ وعزرا ٤ : ٧

(٣٣) دائرة المعارف البريطانية تحت كلمة « الآداب السريانية » راجع اللمعة الشهية ليوسف داود مج ١ ص ٨ الحاشية .

محا . محا . اصلا . معهم . منا . منا تقل . وفرسين(٣٤) ، وسفر عزرا من الآية الثامنة من الاصحاح الرابع وحتى الآية ٢٧ من الاصحاح السابع . ثم سفر نحميا ، وبعض المقابيين . ومن اسفار العهد الجديد كتب انجيل متى الرسول بالسريانية الفلسطينية .

٢ ـ كانت لغة العبادة لاول كنيسة ظهرت في المسيحية وهي كنيسة اورشليم المؤلفة من المتنصرين من اليهود . ثم لكنيسة انطاكية (المتنصرين من الامم واليهود) ولا تزال حتى اليوم لغة الطقوس للكنيسة السريانية الانطاكية .

٣ ـ بها تناقش اول مجمع عقد في الكنيسة المسيحية في اورشليم عام ٥١ م .

٤ ـ اول لغة استعملتها الكنيسة المسيحية في تقدمة القداس الالهي اعني ليتورجية يعقوب اخي الرب اول اساقفة اورشليم .

---

(٣٤) دا ٥ : ٢٥ .

٥ ـ اليهـــا ترجم الكتاب المقدس ترجمـــة سميت البسيطة *PHSHITTO* .

(٥) انتشارهـا

احرزت اللغة الآرامية السريانية من الانتشار الهائل ما لم تفز به اية لغة في العالم منذ فجر التاريخ وحتى اليوم إلا اللغة الانكليزية في عهدنا هـــذا كقول الاب لامنس اليسوعي . ولم يكن ذلك عائداً الى نفوذ سياسي ، او سيادة عسكرية ، بل الى قـــوة فكرية محضة ، وتفوق حضاري صرف ، وبكل حق وجدارة دعيت هذه الحركة بـ : « امبراطورية الفكـــر » . وهـذا ما ستقف عليه في شرحنا .

يبتدىء تاريخ اللغة السريانية الآرامية بحسب ما ظهر من النقوش والنصوص والكتابات من القرن العاشر قبل الميلاد ويمتد الى المئة الثامنة للميلاد او المئة الثانية للفتح العربي اي ما يقارب الألفين سنة .

لقد توفرت للآرامية في هـــذه الفترة ، وعلى نطاق انتشارها في العالم ، كل اشكال التنوع اللغوي التي جاءت

في دراسات العلماء في القرن الاخير . فقد استخدمت كلغة وطنية *National Language* بين ذويها طيلة تلك الفترة التاريخية الطويلة . ثم كلغة التعامل *Lingua Language* اذ تعاملت بهـــا جماعات عديدة تختلف لغاتها مثـال ذلك

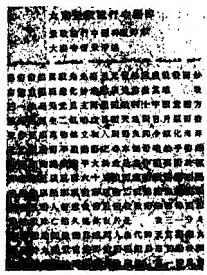

In HSI – AN – FU (China)
A Memorial for Syriac Chinese inscriptions,
it is a historical proof of
the spreading of Syriac Culture to the far East
in China.

استخدام الانجليزية بين ابنـــاء اللغات المختلفة في الهند . وذلك بفضل العامل التجاري . وفي عهد الدولة الآشورية استخدمت الى جانب الاكادية كلغة رسمية *Official Language* في مجالات الرئاسة والادارة في الدولة. وبلغت اوجها في العصر الفارسي الاخميني اذ بالاضافة على كونها لغة رسمية ، صارت لغة دولية *Inter National Language* . وتميزت لفترات طويلة لغـة الثقـافة والحضارة والدراسات *Educational Language* . وابتدأت في فجر المسيحية لغـــة طقسية

Litorgical Language ولا تزال حتى اليوم لغة الكنيسة السريانية الانطاكية الارثوذكسية ، والكاثوليكية ، والمارونية ، والكلدانية ، والنسطورية . **وهي اليوم ايضاً لغة جماعة** Croup Language اذ يستخدمها مجموعة من الناس داخل الدولة التي يعيشون فيها ، **كأهل طور عبدين** في تركيا ، وبعض **قرى الموصل** في العراق ، **وثلاث قرى في دمشق** ، وبعض **القرى في ايران وكردستان** .

والى مراحل هذا الانتشار .

كانت اللغة الآرامية في القرن الرابع عشر ق . م لغة القبائل الرحالة التي كان معظمها يتنقل في الصحراء غربي الفرات ، ثم برز الآراميون في القرن الثاني عشر ق . م كممالك ودويلات متعددة ، بسطت نفوذها السياسي والعسكري خمسة قرون تمكنت خلال ذلك ان تقضي على كثير من اللغات واللهجات كالكنعانية والفينيقية والعبرية .

ان الآراميين ، ولئن قضي على نفوذهم العسكري ، وزالوا سياسياً كما علمنا سابقاً الا انهم انتصروا فكرياً ولغوياً ، فان اللغة الآرامية تمكنت من ان تسود فتعوض عن النفوذ السياسي العسكري . فقد سادت ثقافياً وهيمنت

على كافة مرافق الحياة الاجتماعية ، ولعبت دوراً بالغ الاهمية في حياة غربي آسيا مدعومة بعاملين :

اولهما العقلية التجارية التي اتصف بها الآراميون ، وكانت العلامة الفارقة التي تميزهم عن سكان بلاد الشرق كافة . وان التوسع التجاري الآرامي فاق التوسع السياسي العسكري الآرامي . لا بل عندما انتهى النفوذ السياسي العسكري ظل التوسع التجاري فعّالاً ونشطاً . فقد كان التجار الآراميون يبعثون قوافلهم الى جميع مناطق هلال الخصيب وحتى الى منابع الدجلة في الشمال . وكانوا يحتكرون تجارة سورية الداخلية وبهذه الوسيلة تمكن الآراميون ان يحتلوا مكانتهم الاجتماعية والحضارية في المجتمعات الآشورية وغيرها .

كان التجار الآراميون ينشرون لغتهم في مختلف البلدان ، فيحملون معهم سجلات الحسابات التجارية ، والقوائم ، والمستندات ، بالآرامية كتابة ولغة . **وفي نحو عام ٥٠٠ ق . م اصبحت اللغة الآرامية السريانية ليست فقط لغة التجارة والحضارة والحكومة في بلاد هلال الخصيب بل لغة التعامل** *Lingua Lauguage* .

والعامل الثاني الذي يضاف الى العامل التجاري كان سهولة ابجدية الآرامية وبساطة اشتقاقاتها وقواعد نحوهـــا وحيازتها على عناصر الرقة والبساطة .

لقد انتشرت الآرامية بالتدريج في سورية وبلاد دجلة والفرات وصار الناس يتكلمون الآرامية في سورية وفلسطين وعلى شواطىء نهر الفرات وفي جميع جهات نهر دجلة في الجنوب ، وفي الغرب من جبال ارمينية وكردستان . واضحت سورية الشماليـة خاصة من اهم مراكز العنصر الآرامي ، وتكاد تكون هي آرام بالذات(٣٥) وهنا اتخذت السريانية طابعاً مميزاً كلغة وطنية *National Language*

وامتدت الآرامية الى مصر ، وقـــد كشف اخيراً مجموعة كبيرة من الصكوك من القرن الخامس ق . م في صعيد مصر . فقد كانت الكتابة باللغة الهيروغليفية محرمة على المتعلمين من المصريين . وكان المصريون حتى الفقراء منهم يستخدمون اللغة الآرامية والكتابة الآرامية . ولسنا في حاجة الى ان نشك في ان كثيراً ممن هاجروا الى مصر

---

(٣٥) شابو : اللغة الآرامية وآدابها ص ١٠ .

من سورية كانوا يتكلمون اللغة الآرامية كما كان يتكلمها اليهود في مصر(٣٦) . ووجد في جزيرة الفيلة جنوبي مصر

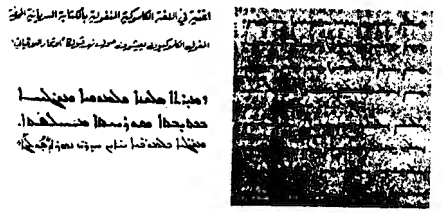

A song in KALMUCK MONGOL LANGUAGE with distorted SYRIAC WRITING. (The Mongol Kalmucks live in the grasslands around the Volga River).

وثائق مكتوبة باللغة الآرامية على البردي يرجع عهدها الى القرن السادس والخامس والرابع ق . م حيث كانت مستعمرة يهودية بقيت الى زمن البطالسة(٣٧) .

وحكى محمد عطية الابراشي عن انتشار الآرامية في بلاد العرب : « وقد عثر على قليل من النقوش الآرامية في بلاد العرب في واحة تيمة في شمال الحجاز . وقد كتبت تلك النقوش الاثرية قبل عصر الفرس . ويمكننا ان ندعي ان

---

(٣٦) محمد عطية الابراشي : الاداب السامية ص ٤٥ .
(٣٧) انيس فريحة : دراسات في التاريخ ص ٢٣٣ : وتاريخ اللغات السامية : ولفنسون ص ١٢٥ .

اللغة الآرامية قد وصلت الى تلك الجهة باولئك التجار الذين ذهبوا بتجارتهم الى الحجاز فاستوطنوا تلك الجهة . وكان اثر ذلك ان اللغة الآرامية قد بقيت مدة اللغة الادبية للعرب القريبين من آرام »(٣٨) .

وقال المسعودي : « كانت بلاد العرب اليوم وبرها ومورها اليمن وتهامة والحجاز واليمامة والعروض والبحرين والشجر وحضرموت وعمان وبرها الذي يلي العراق وبرها الذي يلي الشام وهذه الجزيرة كلهـــا . . . لسانها واحد سرياني»(٣٩) . وقال الاب لامنس اليسوعي : « وامتـدت اللغـة الآرامية في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجـاز وذلك في القرون الاولى من تاريخ الميلاد الى القرن السابع منه »(٤٠) .

---

(٣٨) الاداب السامية ص ٤٥ .

(٣٩) كتابه التنبيه ص ٧٩.

(٤٠) آثار لبنان مج ٢ ص ٩٦ الاب لامنس اليسوعي نقـلاً عن مقالة طائر مر في النبط ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

واما في بلاد آشور ، فيحدثنا التاريخ ان الاشوريين غزوا الدويلات الآرامية عسكرياً وادخلوها ضمن امبراطوريتهم المترامية الاطراف ، غير انهم لم يستطيعوا ان يقرضوا اللفظة الآرامية ولا حتى ان يقلصوا نفوذها ، لا بل ان لغة الاشوريين بالذات تراجعت امام الآرامية ، فاتخذتها الدولة الاشورية اداة للكتابة والتعبير وخاصة في عهد سنحاريب ومن جاء بعده لا بل اضحت لغة آشور الرسمية *Official Language* .

واما في بلاط بابل فكانت اعظم مكانة واوسع انتشاراً منذ عهد نبوخدنصر فقد اخذت تسير مع الاكدية جنباً الى جنب ، ثم اخذت تنشط وتزدهر وتبدي تفوقاً على الاكدية حتى اضحت في نهاية القرن السابع ق . م اللغة الدبلوماسية عوضاً عن الكلدانية .

وفي فلسطين ايضاً قضت الآرامية على العبرية ، وحيث

ان اللغة الآرامية في فلسطين تحدث بها السيد المسيح فسوف نفرد لها فصلاً خاصاً . وهكذا تمكنت من الفوز على شقيقاتها اللغات السامية فوزاً كاملاً .

ولم يقتصر انتشار الآرامية على المناطق السامية ، فلما صارت السيادة للفرس بعد البابليين بقيت السيطرة للغة الآرامية ، ودعم حكام الفرس مكانتها واعترفوا بها لغة رسمية *Official Language* في كل انحاء الدولة ليس في بلاد فارس فحسب بل في جميع الاقطار الخاضعة لهم وبهذا دخلت الآرامية ايران ايضاً ودخلت مع النفوذ الفارسي الى كل انحاء الشرق القديم .

وتعد الآرامية في هذه الفترة لغة دولية *International Language* لانها كانت مستخدمة في منطقة واسعة من العالم القديم في التعامل التجاري والسياسي وبين كثيرين ممن ينتمون الى بيئات لغوية مختلفة . واذا كان سفر استير قد ذكر ان اوامر الملك الفارسي كانت تمضي من ايران الى الهند والحبشة ، فلا شك ان هذه الاوامر كانت تصل الى هذه المناطق بالآرامية .

وادى انتشار الآرامية في ايران والمناطق المجاورة لها الى ان كان رجال الدين البوذيين يستخدمونها في مواعظهم الدينية في منطقة الحدود الايرانية الهندية . وتشير النقوش الكثيرة التي وصلت الينا من القرون السادس والخامس والرابع ق . م الى ان اللغة الآرامية اصبحت في هذه الفترة لغة التعامل والدولية في آن واحد في الشرق القديم ، هـذا بالاضافة الى كونها لغـة الادارة في دولة الفرس الاخمنيين(٤١) وهكذا عاشت الآرامية في العهد الفارسي عصرهـا الذهبي . **وان حكمة احيقار الآرامية** وضعت في الفترة الفارسية بالذات ، من ابرز الآثار الآرامية الـتي وصلت الينا قبل الميلاد كما سيأتي بيانه .

وانتشرت الآرامية وبلغت الصين ، ذلك ان جماعة من الرهبان السريانيين النساطرة في القرن السابع الميلادي تسللوا الى داخل الصين في عام ٦٣٥ م وقد نصبت لوحة

---

(٤١) علم اللغة العربية : في البحث عن (الفرع الارامي) للدكتور محمود فهمي الحجازي .

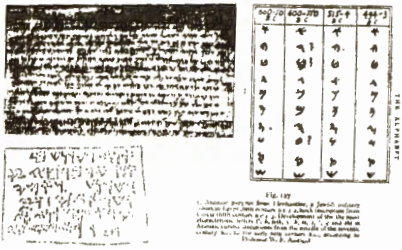

بعض انواع الكتابات الآرامية القديمة
القرن السابع والخامس قبل الميلاد.
عن كتاب "ديرنجر"

from «Deringer»

تذكارية لستة وسبعين من هؤلاء المرسلين نقشت عليها اسماؤهم ومآتيهم باللغتين الصينية والسريانية وذلك في السابع من الشهر الاول عام ١٨٧١ وهذه اللوحة لا تزال قائمة في مدينة سيان‌فو الصينية حتى اليوم(٤٢) وكانت السريانية متواجدة في الصين حتى اوائل القرن الرابع عشر(٤٣) .

---

(٤٢) فيليب حتي : تاريخ سورية مج ٢ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .
(٤٣) تاريخ سورية مج ٢ ص ١٣٧ .

ممن سير هذا البحث ترى واضحاً **ان الآرامية اضحت لغة الدين والادب والتاريخ والسياسة والحكومات** والتعامل لا بل سادت جميع مرافق الحياة الاجتماعية ، وهيمنت على مقدرات التاريخ لفترة طويلة من الزمن في مناطق الشرقين الادنى والاوسط .

وقد اجاد كل الاجادة من قال : « اذا كان للاشوريين امبراطورية حربية عرفت ببربريتها ، فكان للآراميين امبراطورية فكرية ، عرفت بآدابها وفنونها وعلومها الرفيعة التي انتشرت في كافة ارجاء الشرق الاوسط . فدولة الحرب والقوة تزول اما دولة الفكر فهي سرمدية لا تزول »(٤٤) .

وقال رينان الفرنسي في كتابه تاريخ العالم للغات السامية : « ان الآرامية في القرن السادس ق . م طمست كل اللغات التي سبقتها واصبحت اللغة الاولى خلال احد عشر قرناً ، والمعبّر الاول للعقلية السامية » وقال الدكتور فيليب حتي : « وهكذا اصبحت الآرامية حتى فتوحات الاسكندر اللغة المتداولة في امبراطورية تمتد من الهند حتى

---

(٤٤) مجلة بيرو سوريويو ـ السويد عدد ٦ و ٧ عام ١٩٧٩ .

الحبشة ، ان مثل هذا الفوز الذي حققته لغة لا تدعمها سلطة امبراطورية من اهلها ليس له مثيل في التاريخ »(٤٥)

وهكذا فان عملية « التأريم »(٤٦) لغوياً تمّ في جميع انحاء المناطق التي سكنها الآراميون .

إلا ان نجم الآرامية بدأ بالافول عندما غزا الاسكندر الكبير بلاد الشرق في النصف الثاني من القرن الرابع ق.م ، اذ فرضت اللغة اليونانية لغة رسمية في الشرق كله ، فانحطت الآرامية عن رتبتها الرفيعة ، وفقدت وحدتها التي تمتعت بها في ظل الامبراطورية الفارسية .

غـــير انه بالرغم من ذلك ظلت الآرامية منذ العهد السلوقي اليوناني محتفظة بكرامتها ، محتلة مكانتها اللائقة بها ،

---

(٤٥) تاريخ سورية ص ١٨٣ .

(٤٦) هـــذا التعبير استخدمه الدكتور توفيق سليمان في تعريب كتـاب الدكتور انطون مويكات ، نقـلاً عن محاضرة الاستاذ محمد جاب تحت عنوان « الارامية » القيت في جامعة حلب .

منتشرة في معظم الاقطار ، كما سيتبين ذلك عند الحديث عن اللهجة الرهاوية السريانية .

قال لامنس : « ومن عجيب الامور ان انتشار لغة الآراميين بلغ في عهد السلوقيين مبلغاً عظيماً فاضحت اللغة السائدة في كل آسيا السامية اعني في سورية وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب »(٤٧) .

وفي ايام السيد المسيح كانت الاحوال السياسية : الروم تحكم سورية وفلسطين ، والفرثيون يحتلون بقاع ما بين النهرين وآثور ، والاباجرة يحكمون الرها ، **وكانت الآرامية السريانية سائدة في جميع هذه البلاد وفي ظل حكم تلك الدول الثلاث وبخاصة امارة الرها كما سيأتي الحديث .**

إلا ان اللغة الرسمية بين عمال الدولة ولغة العلماء كانت اليونانية في كثير من تلك البلاد(٤٨) .

---

(٤٧) آثار لبنان ص ٩٥ نقلاً عن المجلة الاسيوية الالمانية *ZOMG 188 (p 33)* .

(٤٨) فيه ايضاً ص ٩٥ نقلاً عن مقالة الدكتور شندا عن الارامين .

قال دي فوكو : « كانت اللغة الآرامية السريانية منذ القرن الرابع ق . م الى ظهور الاسلام اللغة المحكية لدى جميع الشعوب الساكنين في بلاد فارس ومصر واليهود والساميين المتواطنين في مصر وآسيا الصغرى إلا ما ندر . وان جميع الخطوط التي عثر عليها في تدمر وحوران وبلاد النبطيين كتبت بها . وبعد القرن السابع الميلادي استبدلت السريانية بالعربية ولكنها لم تزل تمارس حتى القرن الرابع عشر » .

اما عن سير وضع السريانية من القرن السابع الميلادي اي من الوقت الذي حلَّت محلَّها اللغة العربية وحتى اليوم سنشرحه بشكل مسهب عنه الحديث عن اللهجة الرهاوية السريانية .

نختم هذا الموضوع بما جاء في مجلة اميركية تدعى *PLATNT TRUTH* حيث تحدثت عن السريانية فقالت : « سوف لا تموت اللغة السريانية مهما تغير الزمن لانها لغة السيد المسيح » .

الآرامية لغة فلسطين

بعد ان تحدثنا عن انتشار الآرامية السريانية في سورية ، وآشور وبابل ، وفارس ، ومصر ، وبلاد العرب والى اقصى الشرق القديم نأتي الى الحديث عن انتشارها في بلاد فلسطين او جنوب سورية كما يقول بعض المؤرخين ، وجعلنا هذا الحديث مستقلاً عن غيره لكون السيد المسيح ظهر في هذا البلد وتحدث بلهجته الآرامية الفلسطينية .

جرى الاتصال بين الآراميين وبعض القبائل العبرية الشمالية بفلسطين منذ زمن قديم ، وبلغ مبلغاً عظيماً في القرن الثامن ق . م حيث قويت شوكة الآراميين وانتشروا انتشاراً واسعاً في سورية وقد عظم نفوذهم في فلسطين شيئاً فشيئاً حتى اصبحت اللغة الآرامية تنافس اللغة العبرية بين اقوامها انفسهم(٤٩) . ثم اصبحت لغة فلسطين الوحيدة المحكية منذ القرن الخامس ق . م واستقرت فيها ، ولما عاد المسبيون من بابل الى فلسطين كانت الآرامية بدلاً

---

(٤٩) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٩٦ .

من العبرية قد اضحت اللغة المحلية التي يفهمها الجميع ولم تزل حتى العصر الرسولي ، وبها تكلم السيد المسيح كما سبق . وان معظم المؤلفين في فلسطين وضعوا مؤلفاتهم في اللغة السريانية من ذلك اسفار طوبيا ، ويهوديث ، وابن سيراخ ، والترجومات الكثيرة ، وجانب عظيم من التلمود . واقدم الصلوات التي كان يستعملها اليهود عدا التسابيح التي هي في الكتاب انما وردت بالسريانية .

كان عامة اليهود قد تخلوا في حياتهم اليومية عن العبرية ، واستعاضوا عنها بالآرامية الشائعة ، لذلك فان المسبيين لم يفهموا كتاب الشريعة الذي قرأه عزرا بالعبرية ، لذا فان مترجميه « قرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وافهموهم القراءة(٥٠) . وكذلك فان خصومهم المنفيين العائدين خاطبوا ملك الفرس بهذه اللغة الآرامية وتسلموا جوابه بها ايضاً(٥١) .

ان العبرية ولئن انقطعت على ان تكون لغة المحادثة

---

(٥٠) نح ٨ : ٨ .
(٥١) عز ٤ : ٧ .

لكنها لم تمت بل انزوت في المعابد والمدارس واضحت لغة الدين اليهودي . وكان ربانية اليهود يحرصون على ان تقرأ الاسفار في الكنيس باللغة العبرية الفصحى . وكان احبار اليهـــود يكرهون اللغة الآرامية وكانوا يعملون على بث كرهها في نفوس اليهود ، حتى نقل عن بعض علمائهم كلمات مأثورة وردت في التلمود « استعملوا العـــبرية او اليونانية واحذروا من رطانة الآرامية » وايضاً « لا يحادث الانسان اخاه بلغة آرام »(٥٢) . ولكن الآرامية رسخت قدمها برغم هذه الجهود ، لان الطبقات الغير المتعلمة منهم كانت قـد نسيت العبرية حتى اضطر الاحبار ان يدونوا تراجم التوراة باللغـة الآرامية . وانتهى بهم الامر الى احترامهـا وتقديسها وعارضوا ترجمة الاسفار الى الآرامية ، فالحيـاة كانت تفرض عليهم شيئاً من التسامح .

وقد تحدر الينا وصف للطريقة التي كانت تقـام بهـا العبادة في الكنيس حوالي ٢٠٠ عام ق . م عندما اختفت العبرية كلغة محكية بين الناس . كان الحاخام يقرأ النص

---

(٥٢) محمد عطية الابراشي : تاريخ اللغات السامية ص ٩٦ ـ ٩٧ .

العبري ، وكان يقوم الى جانبه ترجمان فيقرأ النص بالآرامية ويفسره ويعلق عليه . وهذه الترجمات والتفاسير والتعليقات تسمى في مجموعها بالترجوم ، ولغته آرامية . يقول الاستاذ

الابراشي « اخذت الآرامية تنتشر انتشاراً كبيراً بين اليهود في فلسطين ، وانقطعت اللغة العبرية بالتدريج على ان تكون لغة المحادثة ، ولكنها اصبحت لغة المدارس والدين » . **ويبتدىء كتاب دانيال الذي كتب سنة ١٦١ ق.م باللغة العبرية ثم ينتقل فجـــأة الى اللغة الآرامية ثم ينتهي باللغة العبرية .** وبالمثل نجد في سفر الاخبار وفي عزرا انتقالاً من الآرامية الى العبرية ومن هذه الى تلك . وفي الجزء الاخير من نحميا استعير مقدار كبير من اللغة الآرامية . واننـا نرى ان كتب استير واكسلساستز وبعض المزامير التي يرجع عهدها الى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد قد كتبت باللغة العبرية لكنها متأثرة باللغة الآرامية ، وفي عصر المقابين

قبل الميلاد بمائة وخمسين سنة انقطعت اللغة العبرية بين اليهود على ان تكون لغة الحديث بينهم ، لكن في العصور المتأخرة من تاريخ اورشليم وبعد ان اباد تيطس تلك المدينة المقدسة ، قد لعبت المدارس اليهودية دوراً هاماً جداً احيت به او اطالت حياة اللغة العبرية . غير ان هذه اللغة العبرية الحديثة بالذات استعارت جزءاً كبيراً من كلماتها من اللغة الآرامية ، وكان لها تأثير كبير في القواعد العبرية .

واما في اللغة اليونانية التي كانت قد فرضت لغة رسمية في الشرق كله في الغزو الاغريقي للشرق ، فلم يصنف احد منهم شيئاً في فلسطين . وحتى ان يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير نفسه الذي عاش في القرن الاول للمسيح يشهد في مقدمة كتابه الحروب اليهودية انه **صنف تواريخه في بادىء الامر بلسان قومه اي السريانية ومن ثم نقلها الى اليونانية** ، هذه هي البيّنة الاولى على ان اليونانية لم تكن شائعة في فلسطين في عهد المسيح ، وان السريانية هي التي كانت جارية على السن العامة فيها . **كما ان اعلام**

الذكور والاناث من اليهود الواردة في العهد الجديد معظمها بالسريانية نحو : ܐܢܕܪܐ . ܐܪܡ . ܐܪܛܡܐ . ܐܪܡܢܐ الخ . صحيح انه قد ورد بعض الاسماء باليونانية والرومانية ، فمن اليونانية مثل فيلبس ، نيقوديموس ، ومن الرومانية مثل مرقس ، لوقا . وهذا ليس دليلاً على شيوع اليونانية او الرومانية بين العامة في فلسطين ، وانما انتقلت اليهم من المسيطرين على البلاد وقد تعرّض اليهود بين حين وآخر الى تشريد وهجر بلادهم . مما كان يفسح المجال للغريب

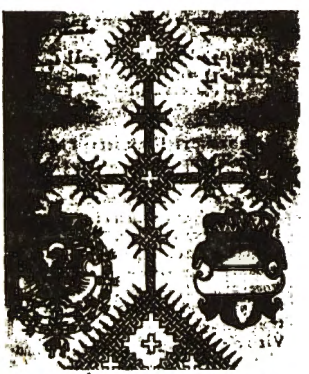

رسوم بديعة بالطابع السرياني الأشوري ورموز ملكيّة مساوية ، وغيرها تزيّن الأنجيل التاريخي.

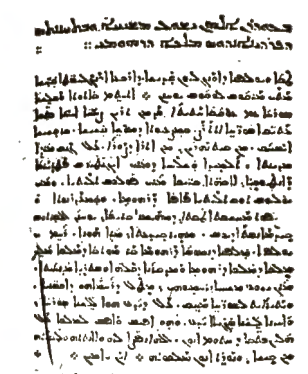

مقدمة اول انجيل مطبوع بالسريانية . ڤيينا ١٥٥٥

SYRIAC MINIATURES AND AUSTRIAN IMPERIAL SYMBOLS

ان يحل محلهم ويمتزج بينهم ، وبذلك تتعرض لغتهم الى

الاقتباس والتغيير . مثال ذلك في عام ١٣٧ اصدر هدريانس قيصر الرومان ١١٧ - ١٣٧ اوامر شديدة حظر فيها على اليهود ان يعودوا الى اورشليم بالكلية . ووضع قصاصاً صارماً رهيباً لكل من يتعدى هذه الاوامر وذلك جزاء عصيانهم عليه . ولم يسمح لهم بالحضور الى اورشليم سوى مرة في السنة ليبكوا عزهم السابق . ومن ثم استوطنت الامم اورشليم كما اخبر اريسطون الذي من مدينة بلا ، وكانت الامم التي سكنتها مزيجاً من السريان واليونان والرومان . فنظراً لمثل هذه الاحداث التي كانت تنتاب اورشليم واليهود كان يحدث في لغتهم ما يحدث ، غير ان اللغة المحكية دائماً كانت السريانية .

هذا **وان اعلام الاماكن العامة في اورشليم وردت في العهد الجديد بالسريانية** مثل ܓܘܠܓܘܬܐ اي مرسل يو ٩ : ١١ ܓܘܠܓܘܬܐ الجمجمة يو ١٩ : ١٧ و ܚܩܠ ܕܡܐ حقل الدم ١ ع ١ : ١٩ ، وفضلاً عن ذلك فاننا نجد في اسفار العهد الجديد الفاظاً كثيرة يتبين لنا فيها ان لغة اهل فلسطين في القرن الاول المسيحي كانت

سريانية منها : ان الرسل دعوا المسيح مرات ثوما ، وقد حفظت الترجمات هذه الكلمة على اصلها ومعناها ابي وسيدي . ومثلها ثوما ربي يو ٢٠ : ١٦ FESHO الفصح و AMIN آمين MORAN ETHO اي ماران اثا الخ .

ومن الادلة القاطعة التي تثبت ما نحن بصدده شهادة الانجيل المقدس حيث يورد احياناً بالحرف اليوناني الكلمات التي نطق بها المسيح بلفظها الاصلي وهي كلها سريانية طلثا قومي مر ٥ : ٤١ طلثا قومي لوقا ٨ : ٥٤ متى ٢٨ : ٤٦ وغيرها .

على ان آباءنا الرسل والكتبة من بعدهم لم يكتبوا باليونانية ما كتبوا إلا للقراء والعلماء فقط . اما العامة وهم الاغلبية الساحقة فكانوا يبلغونهم الكرازة والتعاليم المسيحية باللغة الوطنية اعني الآرامية السريانية . ويشكو يوحنا فم الذهب في انطاكية بان الذين كانوا لا يستمعون اليه لا يستطيعون فهم مواعظه اليونانية . وان الكهنة كانوا لا يسمعون سوى السريانية الدارجة . وقد وصفت لنا رحلة سيلفيا الى الاماكن المقدسة في ختام القرن الرابع اسقف

اورشليم بانه مع كونه يعرف السريانية يخطب دوماً باليونانية فتنقل خطبه الى السريانية مباشرة بواسطة كاهن يقف الى جانبه .

ومما يدل على نبوغ السريان وامانتهم وصدقهم ، انهم لما نقلوا نصوص العهد الجديد من اليونانية الى السريانية ابقوا الفاظاً يونانية متعلقة بدوائر الحكومة كانت دارجة في ذلك الزمان . نحو أهدرن فرقة ، أهدلهملا جندي ره حدها صدهنهلا قائد مئة فلهوم دار الولاية(٥٤) .

(٦) لهجات اللغة الآرامية السريانية

يدخل هذا الموضوع في بحث علم اللغة التاريخي الذي يشمل تطور اللغة الواحدة عبر القرون . وقد اطلق دي سوسير اللغوي السويسري على هذا العلم مصطلح *Linguistique diachrouique* وترجع الكلمة الاخيرة

---

(٥٤) راجع كتاب القصارى للمطران يوسف داوود . ومجلة الحكمة في القدس .

الى كلمة Ora وتعني في اليونانية « عبر » وكلمة chronos وتعني في اليونانية « الزمن » . فهذا العلم يتناول تاريخ اللغات وتطورها البنيوي والمعجمي ، وتطور حياتها في المجتمع ، ودراسة مستويات الاستخدام اللغوي في حياة اللغة السريانية واثر ذلك في بنيتها الحضارية(٥٥) .

فقدت الآرامية السريانية سندها بسقوط الامبراطورية الفارسية ، وفقدت عامل وحدتها بعد موت اسكندر المقدوني وبتجزؤ دولته عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، وانقطعت الصلات اللغوية بين مختلف نواحي العالم الآرامي . **وتطورت الآرامية في كل بقعة من بقاع الشرق متأثرة بعوامل البيئة والزمان والمكان واللغات المجاورة** . ونتيجة لانتشارها الهائل الواسع واختلاط الآراميين بشعوب اخرى نشأت لهجات متعددة ومختلفة قال العلامة ابن العبري : « ان اللغة السريانية تفرعت الى فروع كثيرة ولهجات متعددة اكثر من جميع اللغات ، وذلك لانتشارها في بلاد شتى بعيدة عن بعضها ، فصار بين اللهجة والاخرى بون شاسع لا

---

(٥٥) علم اللغة العربية ص ٤٩ ـ ٥٠ للدكتور الحجازي .

يستطيع معه ابناء اللهجة الواحدة ان يفهموا المتكلمين بقية اللهجات إلا بواسطة ترجمان كأنهم يسمعون لغة غريبة عنهم ، فان سكان سورية مثلاً يتكلمون لهجة غريبة عن لهجة فلسطين ، وكذلك المشارقة الذين ابتعدوا عن الاصل اكثر من هؤلاء(٥٦) .

لم يتوفق العلماء الاخصائيون إلى ضبط هذه اللهجات . وقد احصى ابن بهلول في معجمه ست عشرة لهجة دون

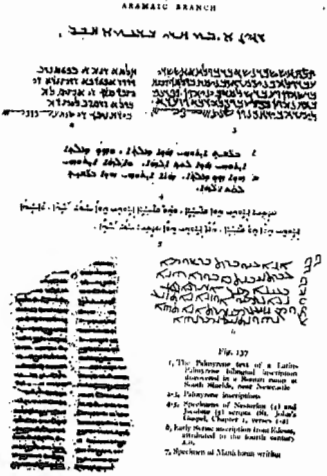

---

(٥٦) المدخل (النحو) تعليقه على الحركات السريانية .

ان يعلمنا شيئاً عن تلك اللهجات او يحدثنا عن الفروق الكائنة بينها ، وكلها تعتبر اصولاً للاصل اللغوي القديم .

والمستشرقون يقسمون هـذه اللهجات الى مجموعتين ، **الشرقية** لشيوعها بين الشرقيين في بلاد بابل وما بين النهرين ونينوى ومـا جاورها **الغربية** لشيوعها في سورية وآسيا الصغرى وفلسطين وبلاد العـرب ومصر . وكان يفصل القسمين عن بعضهما نهر الفرات(٥٧) .

ويتفرع من الشرقية لغة اليهود في بابل (الكلدانية) والرهاوية ، والمندائية . ويتفرع من الغربية لغة اليهود المتأخرين (اليهودية) والتدمرية ، والنبطية ، والسامرية .

ان المستشرقين لم يتوفقوا بتقسيمهم هذه اللهجات الى غربية وشرقية وقد اظهر هذا الخطأ بعض الباحثين منهم : العلامة شابو الذي لم يستصوب هـذا التقسيم اللغوي وقال معلقاً عليه : « ان هذا التقسيم يستند الى اعتبارات لغوية

---

(٥٧) شابو : اللغات الآرامية وآدابها ص ١١ .

دقيقة اكثر من استناده الى اللفظتين شرقية وغربية . وفي الحقيقة ان هاتين اللفظتين ، ليس لهما من علاقة إلا من حيث الزمان والمكان ، فالسريانية وهي لهجة شرقية كانت في عهد ما اللغة الادبية لمعظم الاقطار التي كانت اللهجات الغربية قد ازدهرت فيها »(٥٨) ومن الذين هاجموا هذا التقسيم ايضاً ، المطران بولس بهنام حيث يقول : « ان هذه اللهجات كلها تحدرت بتمادي الزمان من لغة واحدة واختصت كل لهجة بكيانها الخاص واسلوبها الخاص . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لم تنقسم اللغة الآرامية الى لهجتين اثنتين فقط في بادىء الامر وكل من اللهجتين تفرعت الى عدة فروع . فلا يستطيع اذاً والحالة هذه الركون الى تقسيم هذه اللهجات الكثيرة الى فئتين شرقية وغربية فيكون هذا التقسيم خاطئاً من اصله ، مع العلم ان تسمية شرقية وغربية هو من مخلفات السريانية المسيحية حدث في القرن السادس الميلادي . اما قبل المسيحية فكانت كل اللهجات المختلفة مع كثرتها قائمة بذاتها منحدرة من اللغة الأم .

---

(٥٨) اللغة الارامية وآدابها ٨ و ١٢ .

فان لهجات تدمر والبطراء ودمشق وبابل ونينوى والرها كلها آرامية ذات اصل واحد ولا يمكن باي وجه من الوجوه تقسيمها الى فئتيـن شرقية وغربية . ولا سيما ان المستشرقين يخلطون بين هذه اللهجات ، فيجعلون مثلاً لهجة فلسطين غربية ، ويجعلون لهجة الرها شرقية ، والحال هذه الامور لا نصيب لها من الصحة . لان لهجة فلسطين الآرامية انتقلت مع الراجعين من السبي البابلي ، فيكون موطنها الاصلي بلاد بابل ، ولو كان هنـاك فرع شرقي بالمعنى الذي يقصده المستشرقون تكون بابل ام اللهجات الشرقية ، واذا كان كذلك كيف يمكن ان تكون لهجة فلسطين اليهودية المنبثقة منها عربية ؟ ولهجة الرها وهي ام اللهجات الغربية ، فكيف يسوغ جعلها شرقية ؟(٥٩)

لقد رأينا تقسيماً علمياً منطقياً للهجات اللغة السريانية اعدّهـا الدكتور محمود فهمي الحجازي الاستاذ في جامعة الكويت ، في كتابه القيم علم اللغة العربية : مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية(٦٠) معتمداً على

---

(٥٩) مجلة لسان المشرق ـ السنة ٣ ص ٢٥٦ .

(٦٠) من ص ١٧٢ ـ ١٨٣ .

دراسات بروكلمان ، وديجن ، وكولي ، وباومشترك ، واوليري ، ونو ، ونولدكه . كما نجد ما يشابه هذا التقسيم عند شابو وبنـاءً على ذلك نقول: تنقسم اللهجات الآرامية السريانية الى .

الآرامية القديمة : اطلقها بروكلمان على مجموعة النقوش القديمة المدونة بالآرامية والتي تعود الى ما بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد(٦١) . وقال العلامة شابو «وحيث ان هذا التقسيم لا يمكن ان ينطبق عليه تعيين جغرافي لذلك وجب ان تسمى اللهجات الغربية بـ « الآرامية القديمة »(٦٢) .

ان ما يميز الآرامية القديمة عن اللهجات الآرامية الاخرى انها تستخدم مثلاً في كلمة « ارقا » ومعناها الارض . بينما تأتي هذه الكلمة في اللهجات الآرامية الاخرى **أوحا** ارعـا ومن هذا يظهر ان الضاد العربية وهي الامتداد المباشر للضاد في اللغة السامية الاولى قد تحولت في الآرامية القديمة الى قاف ، وفي اللهجات الاخرى الى عين .

---

(٦١) علوم اللغة العربية ص ١٣٧ .
(٦٢) اللغات الارامية وآدابها ص ١٢ .

وحيث ان الآرامية القديمة لهـا مساس كبير في اللغة الاكادية ، فزيادة في الفائدة والايضاح ننتقل الى اعطـاء فكـرة موجزة عن الاكادية بالذات .

تنسب الاكادية الى اكد وهي اول مدينة سكنها الساميون الوافدون في شمال بابل ، وقـد امتزجت هذه اللغة الاكادية السامية باللغة السومرية لغة الشعب السومري الذي كان متواجداً هناك . وهذه اللغة السومرية لا تنتمي الى مجموعة اللغات السامية . فساد ازدواج لغوي بين الاكادية السامية والسومرية غير السامية دام ستة قـرون ٢٥٠٠ - ١٩٠٠ ق . م وادى في النهاية الى سيادة اللغة الاكادية وانتهاء استخدام السومرية . وهنالك عدد كبير من النقوش السومرية والنقوش الاكادية وصلت الينا من هذه الفترة التي فيهـا ساد الازدواج اللغوي . ويطلق على هذه اللغة الاكادية في هذه الفترة اسم **الاكادية القديمة** تميزاً لها عن المراحل اللغوية التي جاءت بعد ذلك وهي :

البابلية القديمة ١٩٥٠ - ١٥٣٠ ق.م
البابلية الوسيطة ١٥٣٠ - ١٠٠٠ ق.م
البابلية الحديثة ١٠٠٠ - ٦٥٠ ق.م
البابلية المتأخرة ٦٥٠ ق.م - القرن الاول الميلادي

و

الاشورية القديمة	١٩٥٠ - ١٥٠٠ ق.م
الاشورية الوسيطة	١٥٠٠ - ١٠٠٠ ق.م
الاشورية الجديدة	١٠٠٠ - ٦٠٠ ق.م

وكان من نتائج تأثير السومرية بالاكدية ان اختفى من الاكادية السامية بعض حروف الحلق سيّما العين والحاء. فظل الاكادي يلفظ حرف أه و والاشوري يلفظ بدلاً من شملا رملا . كما انتقلت عدة كلمات من السومرية الى الاكادية ، وانتقل بعضها من الاكادية الى العبرية والعربية والسريانية واشهر تلك الكلمات ه محلا كلمة وتعني هذه الكلمة في اللغة السومرية «البيت الكبير». وتسربت من الاكادية ايضاً كلمة أه جر١ الآن والتي انتهت في اللغة السريانية في لهجة طور عبدين .

وامتد التأثير الاكادي الى بناء الجملة الاكادية ، فقد كان الفعل السومري يتخذ مكانه في آخر الجملة ، بينما يكون الفعل في الجملة السامية في اول الجملة لتكوين الجملة

الفعلية ، فتحرك الفعل الى آخر الجملة في الاكدية وقد وصل هذا التأثير الى الآرامية حيث يقال

سبحان من ضحى في نفسه من اجلنا بدلاً من

عاشت الاكادية اكثر من خمسة وعشرين قرناً من عام ٢٥٠٠ حتى القرن السابع ق.م وبسقوط الدولة الاشورية في القرن السابع ق.م بدأ احتضار اللغة الاكادية ، بينما كانت اللغة الآرامية تواصل انتشارها كما سبق كلغة حديث ولغة تعامل في آن واحد . وخلفت الاكادية تراثاً ادبياً مثل ملحمة جلجامش ، وشريعة حمورابي وعدداً كبيراً من النقوش ذات المضمون السياسي والاجتماعي .

نستنتج من كل ذلك ان الآرامية فقدت عناصر السامية الاولى في حين ان العربية ظلت اقرب من الآرامية السريانية الى اللغة الام واكثر منها تشبثاً بها اذ بدتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الاصلية المتحدرة اليها منها ، والسبب في ذلك كما قرره الباحثون يعود الى ان العربية عقيب انفصالها عن الأم انزوت دهراً طويلاً في بقعة نائية

عن العالم المعروف يومذاك ، مما ساعدها على التشبث بالاصول القديمة حتى اذا حان وقت انتشارها الهائل مع الفتوحات الاسلامية في القرن السابع للميلاد استطاعت ان تحتفظ بتلك العناصر الاصيلة .

آرامية الدولة : اطلق هذه التسمية *J. Mark Wart* والمقصود بها الآرامية المستخدمة في النقوش الكثيرة التي دونت في القرون السابع والسادس والخامس قبل الميلاد ، وقد سميت آرامية هذه النقوش باسم آرامية الدولة لان دولة الفرس الاخمينين اعترفت بالآرامية لغة رسمية في الدولة ، فالدولة المقصودة هي دولة الفرس الاخمينين . وقد سبق في شرح خبر انتشارها كيف اضحت اللغة الدولية والرسمية في آن واحد .

اللهجات الدينية : وهنالك لهجات آرامية تختلف باختلاف الطائفة الدينية ، فهنالك لهجات لليهود واخرى للوثنيين ثم تأتي اللهجة الرهاوية السريانية وتتحول مع انتشار المسيحية الى لغة من اهم لغات الشرق المسيحي في القرون التالية .

اللهجات اليهودية : هنالك عدد من اللهجات الآرامية

ارتبطت بكتب اليهود المقدسة وبالجماعات اليهودية التي عاشت في فلسطين والعراق . منها **آرامية الكتاب المقدس** في العهد القديم وفيه سفران بالآرامية ، قسم من سفر عزرا وقسم من سفر دانيال ، وهذان السفران جزيرة لغوية آرامية في محيط عبري . يضاف الى ذلك عدد واحد من ارميا ١٠ : ١ وكلمتين في سفر التكوين ٣١ : ٤٧ .

وعندما قلت معرفة اليهود بالعبرية واصبح اكثرهم لا يستطيع قراءة نصوصها فضلاً عن التحدث بها ، نجمت ضرورة لترجمة اجزاء من العهد القديم الى اللهجات الآرامية المحلية التي كان اليهود يفهمونها آنذاك . وبدأت هذه الترجمات الآرامية في صورة نقل شفوي ، فكان رجل الدين يترجم النص العبري ترجمة شفوية الى لهجة المستمعين بالآرامية ، كان ثمة تحرّج من تدوين هذه الترجمات حتى لا تكون منافساً للكتاب المقدس الاصلي ، ولكن هذا الحرج قد قلّ بمضي الوقت فدونت هذه الترجمات وبذلك ظهر الترجوم البابلي ، والترجوم الفلسطيني **والترجوم السامري** ، ويمثل كل ترجوم من هذه التراجيم لهجة آرامية متميزة .

كانت فلسطين في عهد السيد المسيح قد انتشرت فيها اللهجة الآرامية منذ اكثر من قرن ، ومن المؤكد انه كان بين نطق اهل اليهودية في الجنوب ونطق اهل الجليل في الشمال تباين في اللهجة ، وهنالك ما يحملنا على ان نميّز لهجة اليهودية من لهجة الجليل ، وشهادة الانجيل في هذا الصدد صريحة . فان بطرس الرسول لما انكر انه من تلاميذ يسوع قيل « انك جليلي ولهجتك تنم عليك » .

وهنالك لهجة ثالثة كان يهود بابل يتكلمون بها وهي تحتوي على عناصر يهودية وجليلية غير ان العنصر الغالب فيها هو آرامية ذلك القطر . ومنشؤها : ان اوفد جماعة من علماء الجليل الى بابل ليعيدوا التقاليد الفلسطينية القديمة فرجعوا بها في ثوب من اللغة قد تبدل تبدلاً محسوساً ، وعندها نشأت لهجة تكاد تكون جديدة فيها بعض التصنع .

وليست آرامية فلسطين المسيحية إلا امتداداً للهجة فلسطين اليهودية ، وبها كتب متى الرسول انجيله ، الذي فقد نصه الآرامي وبقيت ترجمته اليونانية .

اللهجة السامرية : السامريون سكان السامرة كانوا يدعون انفسهم حراس الشريعة ، واصلهم ، ان سرجون

ملك آشور لما استولى على السامرة سنة ٧٢١ ق . م جلا معظم اهلها واحلّ محلّهم جالية من سائر الشعوب المغلوبة ، ومن هـذا المزيج ومن بقايا السكان القدماء تألفت طائفة السامريين الذين كانوا دائماً في عداء مع جيرانهم اليهود ، مذ عاد هؤلاء من الجلاء . والسامريون لا يعتقدون في اسفار الشريعة الاسرائيلية إلا اسفار موسى الخمسة (التوراة) وليست توراة السامريين سوى نسخة عن التوراة العبرية بخط خاص ، غير ان الحاجة دعت الى ترجمتها بلغة عامية ونشأ عن هذا : **الترجوم السامري** مكتوباً بلهجة آرامية . وقـد وضع الترجوم السامري في الغالب في القرن الرابع الميلادي . واللهجـة السامرية قريبـة الى اللهجة الجليلية . وزالت في القرن السابع الميلادي وحلّ محلّهـــا اللغة العربيـــة .

اللهجات الوثنية : ومن فروع هذه اللهجات

التدمرية : تطابق هذه اللهجة من حيث الجوهر . آرامية الكتاب المقدس ولها صلة كبرى بالنبطية . وهي مندثرة .

النبطية : لهجة آرامية خاصة كتب فيها النبط نقوشهم اواخر القرن الثالث الميلادي ، واندثرت

الحرانية : نسبة الى حران ، والتي ظلت مدة طويلة معقل الوثنية في ما بين النهرين ، ومن المحتمل ان لغة هؤلاء الوثنيين لم تكن تختلف كثيراً عن لغة جيرانهم الرهاويين . وكان ثابت بن قره احد كبار كتبتهم في اواخر القرن التاسع . ولا شك ان العربية حوالي ذلك الوقت قضت عليها واندثرت .

المائدية : ارتبطت هذه اللهجة بجماعة دينية عرفت باسم الصابئة أو المندائية واللفظتان سريانيتان ، فالصابئة بالسريانية *SBIIE* اي المصطبغين المعمذين ، والمندائية مشتقة من يدع *IDA* اي عرف والاسم القديم الصابعة ، والمنداعية ، بالعين ثم اختفت العين وظهرت الهمزة بدلاً عنها . وكانت هذه الطائفة تقول بالمعرفة (غنو ستية) وتمكنت هـــذه اللهجة من الثبات حتى اليوم ، واتباعها قليلو العدد يسكنون في نواحي واسط البصرة ويدعون غالباً بالصابئة كما سبق او بنصارى مار يوحنا . اما دياناتهم وثنية مشوبة بشيء من اليهودية والمسيحية .

ومن اللهجات الوثنية المندثرة **المانوية** بعد الميلاد .

اللهجة الرهاوية المسيحية : من اهم اللهجات الآرامية اطلاقاً وافصحها كقول العلامة ابن العبري(٦٣) .

ان اللهجة الرئيسية الفصحى هي الرهاوية السريانية .

كانت هذه اللهجة وثنية ، ولما دخلت المسيحية مملكة الرها في اولها اتخذت لها السريانية لغة الطقوس الدينية ، وارتبطت من ثم هذه اللهجة بالمسيحية ، ومع المسيحية انتشرت السريانية الرهاوية ، وظلت لغة الادب دهراً طويلاً ونبغ فيهـــا كتاب بارعون . وتركت فيها مؤلفات نفيسة تناولت جميع صنوف المعرفة البشرية والثقافة الدينية والكنسية كما سيأتي بيانه ، ثم تخطت هذه اللهجة الرها وانتشرت في سورية كلها فتقلصت امامها سائر اللهجات الآرامية وقتئذ ، وقد حسب بعض المستشرقين ان آرامية الكتاب المقدس هي من فرع الرهاوية ، وبكل حق وجدارة تعتبر الوريثة للغة الاصلية . ويجوز لنا القول انهـا اصبحت لغة الشرق

مذبح كنيسة مار بطرس وبولس في الرها
صورة قبل هجرة السريان في بداية هـذا القرن

الاوسط ليس فقط على الصعيد الثقافي ولكن حتى النطق، وخير دليل على ذلك اسماء الامكنة العديدة والمنتشرة من ساحل البحر المتوسط الى بلاد فارس والباقية الى اليوم بصيغتها السريانية ، فكانت بجانب اللاتينية واليونانية لغة للادب المسيحي في العالم . ولم تقف السريانية عند حدود الشرق الاوسط بل تعدتها وتوغلت في اواسط آسيا والهند والتبت حتى كانت في نهاية القرن السابع في الصين وبلاد المقول كما تحدثنا في خبر انتشارها . وامتدت باتجاه الغرب حتى وصلت الى وادي النيل ومما يدل على ذلك وجود دير للسريان قديم مشهور مبني على اسم مريم العذراء في الصعيد بمصر ، وكان فيه خزانة كتب سريانية كثيرة العدد وعظيمة الثمن مما لم يوجد مثله في العالم كما سيأتي شرحه . والواقع لعبت السريانية هذه دوراً هاماً في الشرق باسره يضاهي الدور الذي لعبته الآرامية في عهد الامبراطورية الاخمينية الفارسية . قال الاب لامنس اليسوعي(٦٤) « ومن عجيب الامور ان انتشار لغة الآراميين السريان بلغ عهد السلوقيين

---

(٦٤) مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ ٧٠٥ ـ ٧٠٧ .

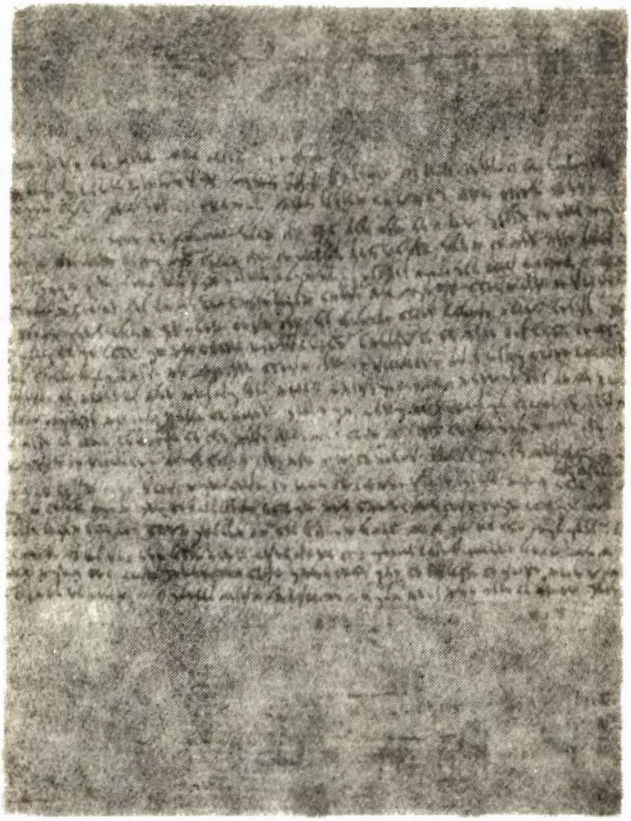

الكتابة الآرامية في عهد المملكة الاخمينية
القرن الخامس ق . م في مصر العليا

مبلغاً عظيماً فاضحت اللغة السائدة في آسيا السامية اعني سورية وما بين النهرين وبلاد الكلدان والعراق وجزيرة العرب وكان المسلمون ايضاً يدرسونها لكثرة فوائدها . وقد كتب فيها الارمن قبل انتشار الارمنية وقد بلغ امتداد هذه اللغة الى اقاصي الشرق في الصين شمالاً وفي الاقطار الهندية جنوباً ، كما انها بلغت بلاد النيل ، فلا نظن ان لغة اخرى حتى ولا اليونانية جارت السريانية في اتساعها إلا الانكليزية في وقتنا الحاضر » .

وفي القرن السادس الميلادي وعلى اثر الانقسامات الدينية المسيحية نشأت لهجتان سريانيتان ، اللهجة الشرقية في الامبراطورية الفارسية واللهجة الغربية في الامبراطورية الرومانية . نشأ بينهما خلاف على اوجه غير جوهرية ، في الخط ، والتحريك ، واللفظ ، فالشرقية مفتوحة دائماً والغربية مضمومة (مزقوفة) بينما كانت اللغة الاصلية مضمومة الآخر دائماً ، فاذا عدنا الى لهجة بابل القديمة بحسب ما قرأها علماء الآثار لوجدناها تميل الى الضم(٦٥) .

---

(٦٥) كلدو وآثور مج ١ ص ١٤ ادى شير .

ارتأى البعض ان آسيا واوربا لفظتان اشوريتان فيرجع اصلهما الى الكلمتين الاشوريتين آسو بالضم ومعناها الشروق واربو ومعناهـا الغروب وبالضم ايضاً . وكان الاشوريون يطلقون كلمة آسو على البلاد الواقعة في الشرق ، وكلمة اربو على البلاد الواقعة في الغرب(٦٦) .

ويعود السبب الى نشوء هاتين اللهجتين ، ان النساطرة تبنوا احدى اللهجات المحكية في ربوع نينوى وجبالهـا وجعلوها لغة ادبية وادخلوها طقسهم الكنسي ، بينما كانوا قبل هذا العهد يلفظون كما يلفظ السريان الغربيون . قال العلامة ابن العبري « في اوائل القـرن السادس عندما تم انفصال النساطرة عن امهم الكنيسة السريانية الجامعة ، فلكي يجعلوا لهم كيانـاً خاصاً مستقلاً ، شرعوا يكتبون باللهجة الشرقية التي كانت لغة التخاطب فقط في بلاد نينوى وبابل وما جاورهما . وقام بعـد نرساي في رئاسة مدرسة نصيبين يوسف الاهوازي وهو الذي غير اللهجة الرهاوية الى هذه

---

(٦٦) مصطفى مراد الدباغ : جزيرة العرب .

اللهجة الشرقية التي يستعملها النساطرة ، وقد كانوا قبل ذلك يقرأون بحسب لهجتنا »(٦٧)

وعلى ضوء ذلك نقول هكذا اختصت اللهجة الرهاوية الغربية بالكنيسة السريانية الام المنتشرة في سورية وبلاد الشام واعالي ما بين النهرين حتى نصيبين . واختصت اللهجة الشرقية بالنساطرة فامتدت في العراق وفارس واذربيجان ، ويستثنى من هذا كنيسة المشرق السريانية الارثوذكسية التي تستعمل اللهجة الغربية الرهاوية .

وقد اطلقت تسمية شرقية وغربية على اللهجتين تبعاً لكون الكنيسة كانت قسمين ، شرقية وغربية . وسميت الاولى شرقية ومنطقة نفوذها شرقي الفرات . وسميت الثانية غربية ومنطقة نفوذها غربي الفرات .

ومهما يكن من الامر فان اللغة السريانية الآرامية المعروفة اليوم بقسميها الشرقي والغربي ، ولئن كانت قد فقدت بعض عناصرها الاولى واكتسبت عناصر جديدة الا

---

(٦٧) ابن العبري تاريخ المفارنة ـ في ترجمة بابوية .

انها تحوز السمة الآرامية العريقة التي ترتقي الى عصور طويلة قبل الميلاد لا بل الوريثة الرئيسية والوحيدة لها في اللفظ والكتابة(٦٨) .

اللغة العربية تحل محل السريانية

كان انتصار اللغة العربية على لغات الشعوب المغلوبة هي المرحلة الثالثة من مراحل الفتح العربي . ذلك ان الفتح خطا ثلاث مراحل رئيسية :

المرحلة الاولى كانت فتحاً سياسياً عندما دخل العرب المسلمون هـــذه البلاد سورية والعراق فاتحين وقضوا على الامبراطوريتين الرومانية والفارسية على عهد الخلفاء الراشدين . وكان عدد العرب المسلمين عند دخولهم البلاد في اول وجبة

---

(٦٨) من المصادر الهامة التي استندنا اليها في بحث لهجات اللغة الآرامية :
١ ــ اللغات الآرامية وآدابهـــا لشابو ٢ ــ علوم اللغـــة العربية للحجازي ٣ ــ مجلة لسان المشرق للمطران بولس بهنام ٤ ــ المدخل (النحو) ومختصر الدول لابن العـــبري ٥ ــ تاريخ سورية للدكتور فيليب حتي ومجلة الحكمة في القدس وغيرها .

حوالي ربع مليون نسمة ، وكان سكان البلد الاصليون يومئذ نحو خمسة ملايين معظمهم مسيحيون سريان(٦٩) .

ثم عقب ذلك في القرن الاول في العصر العباسي **الفتح الديني** وهي **المرحلة الثانية** من الفتح . **واما المرحلة الثالثة** فكانت فتحاً لغوياً وهي آخر المراحل وابطؤها . ويظهر ان سورية بقيت في معظم عهدها الاموي ٦٦٠ - ٧٥٠ م محتفظة بصبغتها الآرامية سيّما من الناحية اللغوية والدينية حتى ان لغة الديوان في العاصمة دمشق بقيت آرامية الى ايام الخليفة عبدالملك بن مروان ، وحقق للعربية الفوز الاخير في اوائل العصر العباسي حيث حلّت العربية محل السريانية .

ان استبدال اللغة السريانية السامية في العراق وسورية بلغة عربية سامية اخرى كان امراً سهلاً نظراً للتجانس الكبير بين هاتين اللغتين ، بخلاف اللغة الفارسية البهلوية التي ترجع الى اصول هندية آرية ، فان الانتقال منها الى العربية كان صعباً جداً .

---

(٦٩) فيليب حتي ـ سورية والسوريون ص ٣٤ طبعة ١٩٢٦ .

وعندما نقول ان هـذا الاستبدال كان سهلاً لا نعني بذلك ان التحول اللغوي من السريانية الى العربية تمّ دون صعوبات بل ان هذه الصعوبات النسبية ما تزال واضحة في التأثيرات الآرامية في اللهجات العربية في هـذه المناطق . فان اللغـة العربية انتصرت في اول الامر كلغة عـلم قبل انتصارها كلغة تخاطب . ولبث الامر كذلك حتى القرن الثـالث عشر قبيل زوال العصر العبـاسي الاول حيث تمّ النصر للعربية على اللغة المحلية .

ان درجة التعريب اللغـوي في بلاد الشام والعراق اختلفت من منطقة لاخرى ومن جماعة بشرية لاخرى . فالمناطق السهلية تعربت على نحو اسرع من تعريب المناطق الجبلية ، ومناطق المدن تعربت اسرع من مناطق الارياف ، وسبب ذلك ان بطوناً كثيرة من القبائل العربية في السنوات التالية للفتح الاسلامي خرجت الى مناطق مختلفة من الشام والعراق وايران واستقرت فيهـا ، وادى اختلاط هـؤلاء العرب الوافدين مع السكان الاصليين في هـذه المناطق الى تعريب الشام والعراق شيئـاً فشيئـاً او « تعريب آرام جنساولفة » كما سبق شرحه هنا .

بالرغم من هذا كله فقد ظلت **اللغة السريانية تحتل بعض المكانة فقد ظلت لغة ادبية حية حتى القرن الرابع عشر للميلاد**(٧٠) وكانت منذ الاول ولبثت ولا تزال **اللغة الدينية الطقسية في الكنائس السريانية الشرقية والغربية .** وحدثنا ابن العبري **ان اهل سورية في زمانه** (القرن الثالث عشر) **كانوا يتكلمون بالسريانية**(٧١) **. وظلت محكية في لبنان حتى اواخر القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر** (٧٢) **وفي مصر** عندما زار بنيامين التودلي جبل سينا حوالي سنة ١١٧٠ م وجد على قمته **معبداً سريانياً ، وعند سفحه قرية كان اهلها يتكلمون اللغة الكلدانية (السريانية)**(٧٣) ، ومما يثبت كثرة السريان والمتكلمين باللغة السريانية في مصر في اواخر القرن الثامن عشر ان نابليون الاول عندما جاء مع الحملة المشهورة لوادي النيل

---

(٧٠) احمد سوسه : العرب واليهود في التاريخ ص ١٠٩ .
(٧١) المدخل (النحو) ومختصر الدول .
(٧٢) فيليب حتي : اللغات السامية المحكية في سورية ولبنان ص ٣٠ ـ ٣٤ والاب لامنس .
(٧٣) فيليب حتي : اللغات السامية المحكية في سورية ص ٣٠ ـ ٣٤ .

كان يذيع اوامره في البلاد المذكورة باللغات الشائعة التي منها **اللغة السريانية** ، وامر نابليون باقامة المطابع الكثيرة التي اتى بها معه لطبع اوامره واعلاناته في اللغة الفرنسية والعربية والسريانية وغيرها(٧٤) .

لم تتلاش الآرامية إلا بعد ان تركت آثاراً بينة في اللغة العربية يمكن تلمّسها في مفرداتها وتركيبها النحوي . كما انقت آثاراً كثيرة في سورية ولبنان والعراق منها اسماء المدن والقرى والاعلام التي لا تحصى ستقف عليها في اثناء الحديث عن العلاقات ما بين السريانية والعربية(٧٥) .

ولا تزال بعض المناطق الجبلية ، والارياف ، في شمال العراق وفي بعض انحاء منطقة الشام مثل **معلولا وبخعة وجبعدين** ، وكذلك في **منطقة طور عبدين الآرامية** في

---

(٧٤) طرازي : السلاسل التاريخية ص ٣٨١ ـ ٣٨٢ نقلاً عن كتاب تاريخ فرنسا الحديث ص ١٥٢ للمرحوم سليم البستاني طبعة بيروت ١٨٨٤ .

(٧٥) حتي : تاريخ سورية ولبنان .

تركيا ، **وفي بعض المناطق في ايران** ، تضم مجموعات من الاقوام احتفظت بلغتها القديمة الى اليوم .

الكرشونية : لقد كان السريان شديدي الحرص والمحافظة على لغتهم حتى انه بعد ان تغلبت عليها العربية ، لبثت هي السريانية اللغة الطقسية الدينية للكنيسة السريانية كما سبق ذكره ، وليس ذلك فقط بل انهم اخذوا يكتبون العربية بحروف لغتهم الآرامية المسماة « كرشونية » ليس في الكتب الطقسية المترجمة الى العربية فحسب بل في الكتب العلمية والمراسلات وغيرها .

ويراد بالكرشونية ما خط بالحرف السرياني ومنطوقه عربي . وقد اختلف الباحثون في اصل هذه اللفظة . زعم جبرائيل الصهيوني ومرهج النيروني ان الكرشوني نسبة الى « كرشون » او « جرشون » احد سريان ما بين النهرين وهو اول من اتخذ الكتابة السريانية لكتابة اللغة العربية . وقيل انه ظهر بعد الفتح العربي بمدة . والمرجح الآن عند العلماء ان لفظة كرشوني مشتقة من فعل سرياني *CRASH* ومعناها الدخيل الغريب دلالة على استعمال الحروف السريانية للغة عربية .

وهنالك من قال انه اسم مركب من « كار » بمعنى الصنعة و « شوني » اسم رجل كانت حرفته ان يكتب اللغة العربية بحروف سريانية فتركب من الكلمتين اسم هذه الطريقة ، وبهذا التركيب المزجي خفضت الف « كار » حتى صارت فتحاً(٧٦) .

وطريقة كتابة لغة باحرف لغـــة اخرى امر مألوف كثيراً في الشرق الادنى والاوسط . فان هـذه العـادة كانت جارية حتى قبل الازمان المسيحية ، حيث اننـا نجد الواحاً عليها كلمات سومرية وآشورية مع انها كتبت باحرف يونانية . وكذلك نجد سكان الاقطاعيات السلوقية المتكلمين بالآرامية في جنوب ما بين النهرين يتخذون اليونانية فقط . وقد روى باري انه وجد بمديات وطور عبدين نسخة خطية من الاناجيل يرجع عهدها الى القرن التاسع الميلادي وهي باللغة اليونانية لكنها مكتوبة بالخط الاسطرنجيلي(٧٧) . **ومن المعلوم ان الارمن كانوا يستعملون الابجدية السريانية قبل ان يخترع مسروب الابجدية الارمنية .** كما ان الاتراك استعملوا الحروف العربية في لغتهم ايضاً .

---

(٧٦) المشرق : بيروت السنة السابعة ص ٦٨٨ .
(٧٧) كوركيس عواد : دير الربان هرمزد ص ٥٢ الحاشية .

الفهرس

المقدمة	ج
اللغة السريانية الآرامية	١
السريانية لغة سامية	٣
قدمها	١١
أسماء اللغة الآرامية السريانية	١٤
ميزاتها وقدسيتها	١٦
انتشارها	١٨
الآرامية لغة فلسطين	٣٣
لهجات اللغة الآرامية السريانية	٤١
اللغة العربية تحل محل السريانية	٦٣

صدر من هذه السلسلة

١ ـ السريان وحرب الايقونات المطران يوحنا ابراهيم
٢ ـ اهل الكهف في المصادر السريانية البطريرك زكا عيواص
٣ ـ ادب الرسالة عند السريان المطران بولس بهنام
٤ ـ الممالك الارامية المطران صليبا شمعون
٥ ـ القيامة العامة في المصادر السريانية المطران اسحق ساكا
٦ ـ عقيدة التجسد الالهي البطريرك زكا عيواص
٧ ـ كنيسة انطاكية السريانية عبر العصور البطريرك زكا عيواص
٨ ـ الراعي والرعية المطران صليبا شمعون
٩ ـ الكتاب المقدس في كنيسة انطاكية السريانية المطران اسحق ساكا
١٠ـ السريان ايمان وحضارة ـ ج ١ المطران اسحق ساكا
١١ـ السريان ايمان وحضارة ـ ج ٢ المطران اسحق ساكا
١٢ـ *The Syrian Orthodox Church of Antioch at a Glance - by H. H. MAR I. Z. IWAS*
١٣ـ السريان ايمان وحضارة ج ٣ المطران اسحق ساكا

اطلب أيضاً . . .

١ ـ التحفة الروحية في الصلاة الفرضية . البطريرك افرام برصوم
تقديم : المطران يوحنا ابراهيم
٢ ـ طقس القداس ـ بالحرفين السرياني والعربي .
اعداد : المطران يوحنا ابراهيم

THE SYRIAC LANGUAGE

By

SEVERIOS ISAAC SAKA

METROPOLITAN

Published by

GREGORIOS YOHANNA IBRAHIM

Metropolitan of Aleppo

ALEPPO - SYRIA

1983

016289